محاكمة في الزمن الآتي للرجل الذي قاتل وقُتِل

قصة بقلم فاروق وادي

١ ــ الهدية

سنابك الخيل تعصف بالارض ، والمدن تحني هاماتها لسيوف الجيش الزاحف كالظلال الداكنة .

في الافق الغارق بالغبار ، لاحت « عمواس » لعيون الجياد الظافرة ..

أمر القائد « أبو عبيدة » جنده بالتوقف قائلا : « سوف نمكث في هذه القرية ، ومن هنا سوف ننطلق لنفتح أبواب العالم » .

انزرعت الخيام على صدر الارض ، وتمطى الجنود بتراخ وكسل يتوسلون الراحة .

كانت القرية تبدو مثل طفلة رائعة تشيع في القلب طمأنينة . لكن الجرذان بدأت تسرح في طرقاتها وأزقتها ، وأخذت تتسرب الى اشياء الجنود .. تتوائد في ملابسهم ، وتلحس طعامهم ، وتقرض أنصال سيوفهم ، وتحقن الهواء بالاوبئة .

سالت في شوارع القرية قنوات من القيء . ومثلما يتساقط الثمر الناضج عن شجرة مثقلة ، أخذ الجنود يتساقطون .

بوجل ، وبصوت محترق ، جاء أحد الجنود الى أبي عبيدة قائلا :

ــ « الموت يا سيدي يزحف الينا . الطاعون يتفشى في أجسادنا. يجب أن نقضي على الجرذان في هذه القرية قبل ان تبيدنا » .

اشتعل غضب داكن في عيني أبي عبيدة ، وزمجر قائلا :

ــ « ليست مهمتنا القضاء على الجرذان .. مهمتنا فقط هي ان نفتح أبواب العالم » .

ــ « لكنها ستفتك بنا طالما نحن باقون في هذه القرية » .

ــ « قلت لك أن ذلك ليس من شأننا ، وعليك ان تسمع كلام قائدك » .

بانكسار ، تراجع الجندي ، وانحط بين الجنود . وفي الصباح، كان جسد القرية يئن تحت جثث الخيل والجنود . وكان أبو عبيدة ، هو الآخر ، جثة هامدة لاكها الطاعون .

(ملاحظة : وجدت في خيمة أبي عبيدة آلاف الجرذان المقتولة ، والى جانبها ورقة كتب عليها « انها هدية لكتب التاريخ ») .

٢ ــ أحزان

في كل ليلة ، تصعد عيونهم الصغيرة لتمسح السماء بحثا عن الهلال ، لكن العيون تعود منهكة حزينة لتحط على الارض مثل طائر ذبيح .

قيل لهم ان سنوات الصوم لن تنتهي ، ولن يجيء العيد الا اذا ظهر هلال في السماء . لكنها الايام تتسرب عاربة ، والهلال قد أضاع الطريق الى سماء القرية .

قال طفل بحزن :

ــ « في كل يوم ، أحس ان الهلال يبتعد اكثر عن سماء القرية » .

ورد آخر ، وكان الحزن عصفورا مشنوقا يرف في صوته :

ــ « لو لم يمت أبو عبيدة !! » .

وتواترت أصوات الاطفال أشبه بالصمت :

ــ « آه .. لو لم يمت ، لحل العيد » .

ــ « وتفتح الزهر » .

ــ « وأينع الفرح » .

ــ « وبزغ القمر » .

ــ « وفاض الضوء على القرية » .

ــ « وانفتحت أبواب العالم » .

٣ ــ المحاكمة

أخذ الاطفال يقلبون كتب التاريخ . ومن بين الصفحات القديمة الصفراء ، أطل أبو عبيدة . كان مطأطىء الرأس ، وأحس بالاطفال عمالقة ينتصبون أمامه .

قال أحد الاطفال :

ــ « انني أقرأ الحزن في عينيه » .

ورد آخر :

ــ « وأنا أرى انه بائس ومهموم .

لكن طفلا ثالثا ، قال ، وهو يستعير لهجة الكبار :

ــ « لا تكونوا عاطفيين .. تجب محاكمته » .

وردد الاطفال جميعا :

ــ « نعم .. تجب محاكمته » .

وقف الرجل منحنيا بانكسار ، مثل جواد مكلوم ، وكان الحزن يفيض في عينيه . تساءل أحد الاطفال بصوت اهتز له أبو عبيدة :

ــ « أبا عبيدة .. ماذا حل بك ؟ » .

رد الرجل بصوت خافت :

ــ « لقد مت .. قتلني الطاعون » .

كان صوته يسيل حزنا وحسرة . لكن الاطفال لم يكونوا ليرحموا ، وتساءل أحدهم :

ــ « وهل أكملت المهمة التي أوكلت اليك ؟ » .

ــ « لا .. لم أنهها . لقد عاجلني الموت قبل انهائها » .

ــ « ولماذا رضيت ان تموت ؟ » .

ــ « الاعمار بيد الله » .

ضرب أحد الاطفال قدمه بالارض صائحا :

ــ « هذا كلام عجائز » .

قال ابو عبيدة :

ــ « لم أمت بسهولة .. أنتم تعرفون ذلك ! » .

أشار أحد الاطفال بيده متهما :

ــ « لكنك كنت بلا رأس .. أتنكر ذلك ؟ » .

تردد الرجل قليلا ، ثم قال :

ــ « لا أنكر » .

ــ « والآن ! ما العمل ؟ » .

تساءل الاطفال ، وهطل صمت ثقيل . لكن احداً منهم لم ينتظر اجابة من الرجل .

أغلقوا الكتب ، وأخذوا يفكرون .

عمان (الاردن) فاروق وادي